العدد ١٨ آب ٢٠٢٥
No. 18 – Ang 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

مراتب القضاء والقدر وأثرها في بناء السكينة النفسية: دراسة عقدية تحليلية

م.د. اثير حسين سلمان

ديوان الوقف السني/ دائرة المؤسسات الدينية والخيرية/ مديرية أوقاف ديالى

The Levels of Fate and Predestination and Their Impact on Building Psychological Tranquility: An Analytical Doctrinal Study

Assistant Professor Dr. Athir Hussein Salman

Sunni Endowment Diwan / Department of Religious and Charitable Institutions / Diyala Endowments Directorate

العدد ١٨ آب ٢٠٢٥
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No. 18 – Ang 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الملخص

يتناول هذا البحث مراتب القضاء والقدر، واثرها في بناء السكينة النفسية، موضحا كيف أنَّ هذا الإيمان بالقدر له ثمار عظيمة، في تربية النفس الإنسانية، على القناعة، والرضا بما قسم الله تعالى لها في هذه الدنيا. وهذا الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني الإتكال، وعدم الاخذ بالإسباب، بل على العكس، فهو الإيمان الذي يدفع على العمل، والإنتاج، والسير في الارض، بغية الإعمار والبناء. ومع ذلك يبقى الانسان مرتبطاً بالله تعالى في كل صغيرة وكبيرة.

ولأنَّ بعض الناس نظروا الى القدر نظرة سلبية، فكان أثرها مزيد من القلق، والإضطراب، والحيرة، والبعد عن منهج الله تعالى في التعامل مع القضايا العقدية. يستعرض الباحث المعاني اللغوية، والشرعية للقضاء والقدر. ثم يستعرض الباحث مراتب القدر، وادلتها من الكتاب والسنة، واثرها على السكينة النفسية، وكيفية التعامل مع الهموم والإبتلاءات. ثم يتطرق الباحث الى مفهوم السكينة النفسية، وأُسسها العقدية. واثر الإيمان في مقاومة القلق والتوتر. ثم يختم الباحث ببعض النماذج والصور في حياة النبي (ﷺ)، والصحابة رضي الله عنهم، وكيف تعاملوا مع مسألة الإيمان بالقضاء والقدر.

(القدر القضاء العقدية)

Abstract

This study examines the degrees of Divine Decree and Predestination (al-qaḍāʾ wa’l-qadar) and their role in cultivating inner tranquility. It clarifies that faith in qadar bears great fruits in training the human soul upon contentment and acceptance of what God, exalted is He, has allotted in this world. Such faith in al-qaḍāʾ wa’l-qadar does not imply reliance or neglect of taking the means; on the contrary, it impels one to work, produce, and traverse the earth in pursuit of cultivation and building. Nevertheless, the human being remains connected to God in every small and great matter.

Because some people have viewed qadar negatively, the result has been increased anxiety, disorder, and confusion, and a departure from God’s method in approaching doctrinal matters. The paper reviews the linguistic and legal-theological meanings of al-qaḍāʾ and al-qadar, then outlines the degrees of qadar with their evidences from the Qur’an and the Sunnah, and their impact on inner tranquility and on handling worries and trials. It then addresses the concept of inner tranquility, its creedal foundations, and the effect of faith in resisting anxiety and stress. The study concludes with selected examples from the life of the Prophet ﷺ and the Companions—may God be pleased with them—showing how they dealt with belief in Divine Decree and Predestination.

Keywords: al-qaḍāʾ (Divine Decree), al-qadar (Preordainment), doctrinal (‘aqīdah) issues.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فإن موضوع القضاء والقدر في شريعة الإسلام، يعتبر من أركان الإيمان التي يجب على كل مسلم الإيمان بها إيماناً قاطعاً جازماً، بأنَّ كل ما في الوجود لا يخرج عن قدرة الله تعالى وارادته. إنَّ الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره يضفي على نفس المؤمن السكينة، والطمأنينة، والرضا، بما قسم الله تعالى له، وبالتالي يعيش الإنسان متناغما مع محيطه، راضياً بما آتاه الله، وقانعاً بما منعه منه.

إلا إنّا نرى أنَّ كثيراً من الناس قد فهموا مسألة القضاء والقدر على غير ما أراد الشرع، وبالتالي اصبح لديهم تشويش في هذه القضية المهمة من قضايا الدين. وانطلاقاً من حرصنا على القاء الضوء على هذا الركن العظيم من اركان الإيمان، كان هذا البحث الموسوم مراتب الإيمان بالقضاء والقدر وأثرها في بناء السكينة النفسية دراسة عقدية تحليلية، ليجلي لنا اهمية الإيمان بالقضاء والقدر على نفسية الإنسان، من حيث السكينة والطمأنينة، واثر هذا الإيمان على حياة الناس وسلوكهم.

اسباب اختيار الموضوع: يوجد في المجتمع كثير من الناس لهم فهم خاطئ عن مسألة الإيمان بالقضاء والقدر. وربما ينسبون كثيرا من الذنوب التي يقعون فيها الى مسألة القضاء والقدر، غافلين عن المعنى الصحيح لهذه القضية التي هي من اركان الإيمان.

مشكلة البحث: الغموض والخلط في فهم مراتب القدر، واثره السلبي، او الإيجابي على الاستقرار النفسي.

اهداف البحث: توضيح مراتب القدر، وتحليل اثر الإيمان بها في التعامل مع الابتلاءات والهموم

المنهج: عقدي، تحليلي، مع استحضار النماذج والتطبيقات.

الدراسات السابقة:

- القضاء والقدر من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، اعداد الطالب: خديجة حامد السيد حامد، جامعة الرباط الوطني/ السودان.
- الإيمان بالقضاء والقدر، محمد ابراهيم الحمد، دار الوطن للنشر والتوزيع، الرياض.
- الإيمان بالقدر، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار المعرفة، لبنان.

خطة البحث:

المبحث الاول: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الاول: المرتبة الاولى: العلم الالهي

المطلب الثاني: المرتبة الثانية: الكتابة

المطلب الثالث: المرتبة الثالثة والرابعة المشيئة والخلق

المبحث الثاني: الأثر النفسي للإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الأول: مفهوم السكينة النفسية واسسها العقدية

المطلب الثاني: الإيمان بالقدر كمانع للقلق والتوتر

المطلب الثالث: النماذج النبوية والعملية للتعامل مع القدر

الخاتمة والتوصيات

المصادر

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر في اللغة والاصطلاح

المطلب الاول: تعريف القضاء في اللغة والاصطلاح

أولا: القضاء لغة:

قال ابن فارس: القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح، يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته، قال الله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾[١]، أي: أحكم خلقهن[٢].

والقضاء: الحكم، قال الله سبحانه في ذكر من قال: ﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾[٣]، أي: اصنع واحكم. ولذلك سمي القاضي قاضيا، لأنه يحكم الأحكام وينفذها[٤].

قال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو ختم، أو أدي، أو أوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضي[٥].

وبه نستطيع أن نعرف القضاء بأنَّه: لفظ يدل على الإحكام، والإتقان، وانفاذ الأمر، والحكم.

ثانيا: تعريف القضاء اصطلاحا:

إرادة الله الأشياء في الأزل، على ما هي عليه فيما لا يزال، فالقضاء راجع إلى صفة من صفات المعاني، وهي الإرادة[٦].

وقيل هي: إيجاد الله تعالى مع زيادة الإحكام والإتقان، فهو صفة فعل[٧].

وقيل: هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه وتعالى، أنها تقع في اوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها[٨].

---

(١) سورة فصلت، جزء من الآية ١٢.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٩٩.

(٣) سورة طه، جزء من الآية ٧٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، ٤/ ٧٨.

(٦) ينظر: شرح جوهرة التوحيد، البيجوري، ١٨٩.

(٧) ينظر: المصدر نفسه.

(٨) ينظر: الإيمان بالقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن صالح المحمود، ٣٩.

المطلب الثاني: تعريف القدر في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف القدر لغةً:

قال ابن فارس: القاف والدال والراء أصل صحيح، يدل على مبلغ الشيء، وكنهه، ونهايته. والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها، ونهاياتها التي أرادها لها[٩].

وقدر الشيء: مبلغه. والقَدَرُ والقَدْرُ أيضاً: ما يقدره الله عز وجل من القضاء[١٠].

والقدر: القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور[١١].

ونستطيع ان نصوغ تعريفاً لغوياً للقدر بأنَّه: مبلغ الشيء ونهايته، وهو ما يقدره الله تعالى على الأشياء ويحكم به.

ويرد القدر في القرآن بعدة معاني منها:

- بمعنى الطاقة، قال تعالى: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ ﴾[١٢]، أي: ما يطيقه[١٣].
- وبمعنى التضييق، قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾[١٤]. أي: لن نضيق عليه[١٥].

ثانياً: تعريف القدر اصطلاحا:

هو إيجاد الله تعالى الأشياء، على قدر مخصوص، ووجه معين أراده الله تعالى، فيرجع الى صفة فعل؛ لأنَّه عبارة عن الإيجاد وهو صفة فعل[١٦].

وقيل: تحديد الله تعالى أزلاً كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه، من حسن او قبح، ونفع وضر، اي علمه تعالى أزلاً صفات المخلوقات، فيرجع لصفة العلم، وهي من صفات الذات[١٧].

المبحث الثاني: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الاول: المرتبة الاولى العلم الالهي

اولاً: تعريف العلم الإلهي:

---

[٩] ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٦٢.
[١٠] ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، ٢/ ٧٨٦.
[١١] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/ ٧٤.
[١٢] سورة البقرة، جزء من الآية ٢٣٦.
[١٣] ينظر: تفسير البيضاوي، ١/ ١٤٦.
[١٤] سورة الأنبياء، جزء من الآية ٨٧.
[١٥] ينظر: تفسير ابن كثير، ٥/ ٣٦٦.
[١٦] ينظر: شرح جوهرة التوحيد، البيجوري، ١٨٨.
[١٧] ينظر: شرح جوهرة التوحيد، البيجوري، ١٨٨.

من مراتب الايمان بالقضاء والقدر هي العلم الإلهي: وهي الإيمان بأنَّ الله تعالى عالم ومحيط بكل الموجودات والمعدومات، والممكنات، والمستحيلات. وأنّه علِم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون, وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأحوالهم، وأعمالهم، في جميع حركاتهم، وسكناتهم، وشقاوتهم، وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، من قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك وجليله، وكثيره، وقليله، وظاهره، وباطنه، وسره، وعلانيته، ومبدأه، ومنتهاه(١٨).

ثانياً: الادلة من الكتاب، والسنة، والعقل، على علم الله تعالى:

١. الأدلة من الكتاب، وقد وردت كثير من الآيات في كتاب الله تعالى تدل على علم الله تعالى واحاطته بكل شيء، منها:

- قوله تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١٩).
- وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢٠).
- وقوله تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ (٢١). وغيرها كثير من الآيات، فحاصل هذه الآيات تدل على علم الله تعالى بما كان، وما يكون، لو كان كيف يكون، وأَنَّ علمه سبحانه محيط احاطة تامة، وشاملة، بالموجود، والمعدوم، والممكن، والمستحيل.

٢. الأدلة من السنة:

- عن ابن عباس رضي الله عنهم، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين، فقال: "الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين"(٢٢).

قال ابن حجر في شرح الحديث: قوله الله أعلم، قال بن قتيبة: معنى قوله: بما كانوا عاملين أي: لو أبقاهم فلا تحكموا عليهم بشيء، وقال غيره: أي: علم أنهم لا يعملون شيئا، ولا يرجعون فيعملون، أو أخبر بعلم شيء لو وجد كيف يكون، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ ﴾(٢٣)(٢٤).

---

(١٨) ينظر: الإيمان بالقدر، الصلابي، ٤٩.

(١٩) سورة الطلاق، جزء من الآية ١٢.

(٢٠) سورة البقرة، الآية ٣٠.

(٢١) سورة النجم، الآية ٣٢.

(٢٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ٢/ ١٠٠، رقم ١٣٨٣.

- عن علي، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: "ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار"[٢٥].
- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه" فقال رجل: يا رسول الله أرأيت لو مات قبل ذلك؟ قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين"[٢٦].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة يطول استقصاؤها في إثبات علم الله عز وجل من توحيد المعرفة والإثبات.

المطلب الثاني: المرتبة الثانية الكتابة

اولاً: تعريف المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر وهي:

الكتابة: وهي أن الله تعالى كتب مقادير الموجودات، والمقصود بها: الكتابة في اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الذي لم يفرط فيه الله من شيء، فكل ما جرى ويجري فهو مكتوب عند الله[٢٧].

ثانياً: الادلة على مرتبة الكتابة من القرآن والسنة:

١. القرآن:

- قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [٢٨]. قال ابن عطية في تفسيره: والكتاب القرآن، وهو الذي يقتضيه نظام المعنى في هذه الآيات، وقيل: اللوح المحفوظ[٢٩].
- قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [٣٠] . قال النسفي في تفسيره: الزبور بمعنى المزبور، أي: المكتوب، يعني ما أُنزال على الأنبياء من الكتب والذكر، أم الكتاب يعني: اللوح[٣١].

---

[٢٣] سورة الأنعام، جزء من الآية ٢٨.

[٢٤] فتح الباري، ٣/ ٢٤٧.

[٢٥] صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ٤/ ٢٠٤٠، رقم ٢٦٤٧.

[٢٦] صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ٤/ ٢٠٤٨، رقم ٢٦٥٨.

[٢٧] الايمان بالقدر، الصلابي، ٥٤.

[٢٨] سورة الانعام، جزء من الآية ٣٨.

[٢٩] ينظر: المحرر الوجيز، لأبن عطية، ٢/ ٢٩٠.

- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [٣٢]. قال ابن كثير في تفسيره: وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها، وقدرها وكتبها أيضا، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك، على الوجه الذي يفعلونه، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره، وهذا يعصي باختياره، وكتب ذلك عنده، وأحاط بكل شيء علما، وهو سهل عليه، يسير لديه[٣٣].

٢. الادلة من السنة:

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء"[٣٤].

قال الإمام النووي في شرحه: قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ، أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي، لا أول له، وقوله: وعرشه على الماء أي قبل خلق السماوات والأرض[٣٥].

- عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[٣٦].

قال المباركفوري في شرح سنن الترمذي: "رفعت الأقلام وجفت الصحف": أي كتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات، ولا يكتب بعد الفراغ منه شيء آخر، فعبر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة، تشبيها بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته[٣٧].

---

(٣٠) سورة الانبياء، الآية ١٠٥.
(٣١) ينظر: تفسير النسفي، ٢/ ٤٢٣.
(٣٢) سورة الحج، الآية ٧٠.
(٣٣) ينظر: تفسير ابن كثير، ٥/ ٤٥٢.
(٣٤) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ٤/ ٢٠٤٤، ٢٦٥٣.
(٣٥) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٦/ ٢٠٣.
(٣٦) سنن الترمذي، ابواب صفة القيامة والرقائق والورع، ٤/ ٢٤٨، ٢٥١٦.
(٣٧) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٧/ ١٨٥.

- قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطاك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يقول: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة"، يا بني، إني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم يقول: "من مات على غير هذا فليس منى"[٣٨].

المطلب الثالث: المرتبة الثالثة والرابعة، المشيئة والخلق

اولا: تعريف مرتبة الإرادة والمشيئة:

وهي إنّ كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته الكونية شيء[٣٩].

والأدلة من القرآن والسنة على هذه المرتبة كثيرة منها:

١. القرآن

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [٤٠]. قال ابن كثير في تفسيره: أي: يأمر بالشيء أمرا واحدا، لا يحتاج إلى تكرار، إذا ما أراد الله أمرا فإنما يقول له: "كن" فيكون[٤١].
- وقد ورد في القرآن الكريم . في معرض الحديث عن بعض الأنبياء وغيرهم، تعليقهم كل أمر بمشيئة الله سبحانه وتعالى، فنوح عليه الصلاة والسلام، لما قال له قومه: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [٤٢].
- وشعيب عليه السلام بعد ما طلب منه قومه أن يعود إلى ملتهم، بين أنه لا يمكن أن يعود إلى ملتهم بعد أن نجاه الله منها هو والمؤمنون معه، ولا ينبغي لهم ذلك، إلا إذا شاء الله ذلك، فقال: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ

---

[٣٨] سنن ابي داود، اول كتاب السنة، باب في القدر، ٧/ ٨٦، رقم ٤٧٠٠.

[٣٩] ينظر: الإيمان بالقدر، الصلابي، ٥٩.

[٤٠] سورة يس، الآية ٨٢.

[٤١] ينظر: تفسير ابن كثير، ٦/ ٥٩٦.

[٤٢] سورة هود، الآية ٣٣.

وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴾[٤٣]. فعلَّق أعظم شيء وهو الإيمان والكفر على مشيئة الله.

وغيرها من الآيات الكثير التي تبين بجلاء أنَّ الوجود هو بمشيئة الله تعالى، ان شاء كان وإن لم يشأ لم يكن.

٢. الأدلة على مرتبة المشيئة من السنة:

- حدثنا أبو بردة بن أبي موسى، عن أبيه رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: "اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء"[٤٤].

ثم بين أن الله يقضي على لسان رسوله ما شاء، أي: يظهر على لسان رسوله بالوحي أو الإلهام ما قدره في علمه بأنه سيقع[٤٥]. فهذا يدل على مرتبة المشيئة.

- قال حميد بن عبد الرحمن، سمعت معاوية، خطيبا يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي"[٤٦].

فقوله: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، فيه إثبات مرتبة الإرادة، وأن الأمور كلها تجري بمشيئة الله تعالى . ولهذا قال (ﷺ): وإنما أنا قاسم والله يعطي، أي: إنما اقسم ما أمرني الله بقسمته، والمعطي حقيقة هو الله . تعالى . فالأمور كلها بتقدير الله تعالى، والإنسان مصرف مربوب[٤٧].

- عن أبي هريرة، قال: قال النبي (ﷺ): " لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم في الدعاء، فإن الله صانع ما شاء، لا مكره له"[٤٨].

قال النووي في شرح مسلم: ومعنى الحديث استحباب الجزم في الطلب وكراهة التعليق على المشيئة قال العلماء سبب كراهته أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه والله تعالى منزه عن ذلك وهو معنى قوله (ﷺ) في آخر الحديث[٤٩].

---

(٤٣) سورة الأعراف، الآية ٨٩.

(٤٤) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، ٢/ ١١٣، رقم ١٤٣٢.

(٤٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٣/ ٤٥٢.

(٤٦) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ٢/ ٧١٩، رقم ١٠٧٣.

(٤٧) شرح صحيح مسلم، النووي، ٧/ ١٢٩.

(٤٨) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت، ٤/ ٢٠٦٣، رقم ٢٦٧٩.

(٤٩) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٧/ ٧.

ثانيا: مرتبة الخلق والإيجاد:

مرتبة الخلق: وهو الإيمان بأنَّ الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله, وكل متحرك وحركته, وكل ساكن وسكونه, وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها، وخالق حركتها وسكونها, سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه(٥٠).

الأدلة على مرتبة الخلق والإيجاد من الكتاب والسنة:

١. الأدلة من الكتاب:

- قال تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٥١). قال ابن كثير: أي خلقكم وعملكم، فتكون ما مصدرية، وقيل: إنها بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم وهو الأصنام(٥٢).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٥٣). قال النسفي في تفسيره: أي خالق الأجسام والأعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة(٥٤).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (٥٥). قال ابن كثير في تفسيره: أي: الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد، خالق الأشياء، الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، فأنى تؤفكون أي: فكيف تعبدون غيره من الأصنام، التي لا تخلق شيئا، بل هي مخلوقة منحوتة(٥٦).

٢. الأدلة من السُنَّة:

---

(٥٠) ينظر: الإيمان بالقدر، الصلابي، ٦٧.
(٥١) سورة الصافات، الآيتان ٩٥، ٩٦.
(٥٢) تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٦.
(٥٣) سورة الرعد، جزء من الآية ١٦.
(٥٤) تفسير النسفي، ٢/ ١٤٩.
(٥٥) سورة غافر، الآية ٦٢.
(٥٦) تفسير ابن كثير، ٧/ ١٥٥.

- عن زيد بن أرقم، قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله (ﷺ) يقول: كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"[٥٧].

قال النووي: الشاهد قوله: "اللهم آت نفسي تقواها وزكاها، فالفاعل هو الله تعالى، فهو الذي يطلب منه ذلك، ولفظ "خير" ليس للتفضيل، بل لا مزكي للنفس إلا الله، ولهذا قال بعد ذلك: أنت وليها ومولاها"[٥٨].

- عن أبي موسى، أنهم كانوا مع رسول الله (ﷺ)، وهم يصعدون في ثنية، قال: فجعل رجل، كلما علا ثنية نادى لا إله إلا الله، والله أكبر، قال: فقال نبي الله (ﷺ): "إنكم لا تنادون أصم، ولا غائبا" قال: فقال: "يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة" قلت: ما هي؟ يا رسول الله قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله"[٥٩].

قوله (ﷺ): لا حول ولا قوة إلا بالله، كنز من كنوز الجنة، قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئا من الأمر[٦٠].

المبحث الثالث: الأثر النفسي للإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الأول: مفهوم السكينة النفسية واسسها العقدية

اولاً: مفهوم السكينة النفسية: عرف العلماء مفهوم السكينة بتعريفات كثيرة تعكس عمق هذا المعنى:

فقد عرفه الجرجاني بأنه: ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن، وهو مبادي عين اليقين[٦١].

وعرفه ابن القيم فقال: هي الطمأنينة والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده، عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات[٦٢].

---

[٥٧] صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ٤/ ٢٠٨٨، رقم ٢٧٢٢.

[٥٨] شرح صحيح مسلم، النووي، ١٧/ ٤١.

[٥٩] صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، ٤/ ٢٠٧٧، رقم ٢٧٠٤.

[٦٠] شرح صحيح مسلم، النووي، ١٧/ ٢٦.

[٦١] التعريفات، الجرجاني، ١٢٠.

[٦٢] ينظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/ ٤٧١.

ونستطيع أن نعرف السكينة بأنها: حالة من الارتياح والاطمئنان النفسي، تنزل على قلب الإنسان تمنحه القوة في مواجهة التحديات، وهي عطاء رباني يساعد المؤمن على الثبات في المواقف الصعبة، ويزيد من إيمانه ويقينه.

ثانياً: الأُسس العقدية لمفهوم السكينة النفسية:

يعتبر مفهوم السكينة في الإسلام من المفاهيم التي ترتكز على مبادئ عقدية راسخة في الفكر الإسلامي تصوغ هذا المفهوم الإسلامي العظيم، ولعل من أهم هذه المرتكزات العقدية:

- الإيمان بالله تعالى: لا شك أنَّ الإيمان بالله تعالى من الأُسس العقدية التي يرتكز عليها مفهوم السكينة النفسية، فالإنسان بلا ايمان بإله واحد، خالق ومدبر لهذا الوجود، يكون كريشة في مهب الريح تتقاذفه الأهواء والأفكار، وتقطع اوصاله الحيرة. فالإيمان هو المرتكز الذي تهفو اليه النفس البشرية لتستريح من تقلبات الحياة الدنيا، ومن تجاذبات اهلها. وبالتالي يبرز الايمان كمنقذ لحياة البشر من ظلمات التيه، وظلمات الاهواء والمنافع الشخصية[٦٣].
- الإيمان بالقضاء والقدر:

ولعل من أهم المرتكزات التي يرتكز عليها مفهوم السكينة النفسية هي الإيمان بالقضاء والقدر، فإذا آمن العبد بأن كل ما يصيبه مكتوب، وآمن أن الأرزاق والآجال بيد الله، فإنه يقتحم الصعاب والأهوال بقلب ثابت وهامة مرفوعة، وقد كان هذا الإيمان من أعظم ما دفع المجاهدين إلى الإقدام في ميدان النزال غير هيابين ولا وجلين، وكان الواحد منهم يطلب الموت في مظانه، ويرمى بنفسه في مضائق يظن فيها هلكته، ثم تراه يموت على فراشه، فيبكي أن لم يسقط في ميدان النزال شهيدا، وهو الذي كان يقتحم الأخطار والأهوال.

وكان الإيمان بالقضاء والقدر من أعظم ما ثبت قلوب الصالحين في مواجهة الظلمة والطغاة، ولا يخافون في الله لومة لائم، لأنهم يعلمون أن الأمر بيد الله، وما قدر لهم سيأتيهم.

وكانوا لا يخافون من قول كلمة الحق خشية انقطاع الرزق، فالرزق بيد الله، وما كتبه الله من رزق لا يستطيع أحد منعه، وما منعه الله لعبد من عبيده لا يستطيع أحد إيصاله إليه[٦٤].

- الإيمان باليوم الآخر:

إن أكثر ما يُشعر المرء بالحزن واليأس، هو خوفه من المستقبل الأخروي قبل الدنيوي، فالخوف من المستقبل الدنيوي منوط بأسباب ومسببات وكلها بمشيئة الله تعالى، ومع سؤال الله تعالى التوفيق، والأخذ بالأسباب قد يحصل للمرء نوع أمان واطمئنان لمستقبله، إلا أنه لا يزال هذا المستقبل مشوباً

---

[٦٣] ينظر: الإيمان والحياة، القرضاوي، ٩٣ وما بعدها.

[٦٤] ينظر: القضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، ١١٢.

بالمنغصات، فإن سلم من الفقر لم يسلم من العطب، وإن سلم من العطب لم يسلم من حوادث الدهر، فهنا يعيش المرء بين إحجام وإقبال، محاط بأوهام وخيالات، ربما أهلكته قبل أن يصل إلى الحلم المنشود.

ومع تلاطم هذه الأفكار المظلمة، والأوهام المحزنة، يسطع نور الإيمان وشعاع الأمان والاطمئنان، فيضيء له الطريق، وينير له الدروب، وحين يتغلغل حب الآخرة في قلب المسلم، يسلم من كل هذه الأوهام التي أقلقته والمخاوف التي أزعجته؛ لأنه يعلم أنه بتوكله على الله تعالى، واعتماده عليه وصدق الالتجاء إليه، واحتسابه الأجر لديه، تتبدد كل هذه المخاوف والأوهام، فلا تبقى حينئذ أي مخاوف تصيب المؤمن، الذي أيقن أن الدنيا معبر للآخرة، وأن ما عند الله خير وأبقى.

إن الإيمان باليوم الآخر يورث القلب ثباتاً، والنفس طمأنينة، تمكنه من مواجهة ما يدهمه من القلق والأوهام، بل وتوطن نفسه لمدافعة هذا الألم المزعج.

أما من خلا فكر الآخرة عن قلبه، فسرعان ما تتكالب عليه المخاوف وتتمكن منه المزعجات، فتنهار قواه، وتتشتت أفكاره، ويجتمع عليه من الخوف الخارجي، والقلق الباطني، ما يفقده توازنه وصبره، خصوصاً في المحال الحرجة، والأحوال المحزنة المزعجة[٦٥].

- التوكل على الله تعالى:

التوكل أثر من آثار الإيمان، فالذي يؤمن بأن الله بيده تصاريف الحياة وبيده النفع والضر، يترك الأمر إليه، ويرضى بمشيئته، فلا يفزعه المستقبل وما يخبئه له من مفاجآت، ويستعيض عن الخوف بسكينة واطمئنان عدل الله ورحمته، ولهذا يقرر الإسلام بأن الإيمان يجب أن يصاحبه التوكل، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [٦٦]، فالتوكل على الله هو زاد روحي للتغلب على الخوف والقلة وهو الذي يعطي المؤمن بسمة أمام أحلك الساعات التي تمر به ويهبه سكينة النفس التي حرم منها كثير من سكان هذه الأرض.

المطلب الثاني: الإيمان بالقدر كمانع للقلق والتوتر

معلوم انَّ الإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح يثمر ثمراتٍ جليلة، وأخلاقاً جميلة، وعبودياتٍ متنوعةٍ، يعود أثرها على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، وسيتضح ذلك من خلال الحديث في هذا المطلب.

أولا: إن مصادر القلق والتوتر في حياة الانسان نابعة من شعوره بالضعف في هذا الكون، وخوفه على مستقبله، ورزقه، وأمنه، وحياته، وقد عالج القرآن الكريم هذه الإشكالات، ووضع لها الحلول الناجعة البينة، من خلال ايمان الإنسان بقضاء الله وقدره، خيره وشره.

---

[٦٥] ينظر: الإيمان باليوم الآخر وأثره على الفرد والمجتمع، مازن بن محمد بن عيسى، ٦٥٩.

[٦٦] سورة المائدة، جزء من الآية ٢٣.

- ففي الرزق بين الله تعالى أنَّه هو المتكفل بالرزق فلا حاجة للقلق والتوتر، قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[٦٧].أي: وفي السماء تقدير الأرزاق وتعيينها، وفيها ما توعدون من خير أو شر، وجنة ونار، وثواب وعقاب، ففي السماء التي هي السحاب المطر، وفي السماء أسباب الرزق من الشمس والقمر والكواكب والمطالع والمغارب التي تختلف بها الفصول، التي يكون تغيرها مناسبا لأنواع النباتات المختلفة التي تسقى بماء الأمطار، وتسوقها الرياح، وتغذيها الشمس بحرارتها، ويمنحها نور القمر قوة ونموا ونضجا. ثم أقسم الله تعالى بذاته المقدسة على أحقية البعث وضمان الرزق، فقال: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾[٦٨][٦٩].

وبين سبحانه في آيات كثيرة أنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[٧٠]. فإذا أيقن الإنسان أنَّ الله تعالى قد تكفل بالرزق سكنت نفسه، وهدأت روحه، ورضي بما قسم الله تعالى له من الرزق، وبالتالي كان الرضا برزق الله تعالى مانعاً من التوتر والقلق.

- وفي مسألة الخوف من المستقبل وما يخبئ من أقدار خير وشر، بيَّن الله سبحانه وتعالى أنَّه لا يصيب الانسان شيء الا بقدر الله تعالى. فإذا أيقن المسلم أنَّ الامور كلها بتقدير الله تعالى، وأنَّه لا يكون في هذا الوجود الا ما أراد، تطمئن نفسه، ويرتاح ضميره، ويأنس بما اختار الله تعالى له من اقدار.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[٧١]. جاء في تفسير هذه الآية: إن المعنى أنه لن يصيبنا خير ولا شر، ولا خوف ولا رجاء، ولا شدة ولا رخاء، إلا وهو مقدر علينا مكتوب عند الله، وكونه مكتوبا عند الله، يدل على كونه معلوما عند الله، مقضيا به عند الله، فإن ما سواه ممكن، والممكن لا يترجح إلا بترجيح الواجب، والممكنات بأسرها منتهية إلى قضائه وقدره[٧٢].

ثانياً: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر النفسية:

---

(٦٧) سورة الذاريات، الآية ٢٢.
(٦٨) سورة الذاريات، الآية ٢٣.
(٦٩) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٧/ ١٩.
(٧٠) سورة العنكبوت، الآية ٦٢.
(٧١) سورة التوبة، الآية ٥١.
(٧٢) ينظر: تفسير الرازي، ١٦/ ٦٦.

للإيمان بالقدر ثمرات نفسية جميلة تعود على صاحبها بالراحة، والطمأنينة والسكينة، وتُضفي عليه أمناً، وهدوءَ بال، منها:

- محاربة اليأس:

فالذي لا يؤمن بالقدر يصيبه اليأس، ويدِبُّ إلى روُعه القنوط؛ فإذا أصيب ببلية ظن أنها قاصمة ظهره. وكذلك إذا رأى ما عليه الباطل من صولة وجولة، وما عليه أهل الحق من ضعف وتخاذل ظن أن الباطل سيستمر، وأن الحق سيضمحل؛ فاليأس سم قاتل، وسجن مظلم، يُعَبِّسُ الوجه، ويصد النفس عن الخير، ولا يزال بالإنسان حتى يهلكه. أما المؤمن بالقدر فلا يعرف اليأس، ولا تراه إلا متفائلاً في جميع أحواله، منتظراً الفرج من ربه، عالماً بأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً[٧٣].

- الرضا والقناعة بما قسم الله:

من ثمرات الإيمان بالقدر رضا العبد بما قسم الله تعالى له، ويكون هذا في أمرين غنى النفس، والإجمال في الطلب، فهو يسعى الى رزقه بغنى نفس، واجمال طلب، ليس كأُولئك الذين يلهثون ليلاً ونهاراً، مشتتي القلوب، مهمومي النفوس، لا يشعرون بهدوء بال، ولا براحة نفس[٧٤].

- الاستقامة على منهج سواء في السراء والضراء:

الإيمان بالقدر يجعل الإنسان يمضي في حياته على منهج سواء، لا تبطره النعمة، ولا تحزنه المصيبة، فهو يعلم أن كل ما أصابه من نعم وحسنات من الله، لا بذكائه وحسن تدبيره، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [٧٥]. فإذا أصاب العبد الضراء والبلاء علم أن هذا بتقدير الله ابتلاء منه، فلا يجزع ولا ييأس، بل يحتسب ويصبر، فيكسب هذا الإيمان في قلب العبد المؤمن الرضا والطمأنينة[٧٦].

- قوة الاحتمال:

فالمؤمنون بالقدر حقاً هم أقوى الناس نفوساً، وأكثرهم احتمالاً، وأقلهم جزعاً، والذين لا يؤمنون بالقدر يجزعون لأتفه الأسباب، بل ربما أدى بهم الجزع إلى الجنون، والوسوسة، وتعاطي المخدرات، وقتل النفس. ولذلك يكثر الانتحار في البلاد التي لا يؤمن أهلها بالقضاء والقدر،

---

[٧٣] ينظر: الإيمان بالقضاء والقدر، محمد ابراهيم الحمد، ٣٧.

[٧٤] ينظر: الإيمان بالقدر، القرضاوي، ٨٧.

[٧٥] سورة النحل، جزء من الآية ٥٣.

[٧٦] ينظر: القضاء والقدر، عمر سليمان الأشقر، ١١٠.

كأمريكا والسويد، والنرويج، وغيرها، بل لقد وصل الأمر ببعض البلاد إلى فتح مستشفيات للانتحار(٧٧).

- الصبر عند نزول المصائب:

ومن ثمرات الإيمان بالقدر الصبر عند نزول المصائب، فالمؤمن بالقدر لا يسيطر عليه الجزع، والفزع، ولا يستبد به السخط والهلع، بل يستقبل مصائب الدهر بثبات، كثبات الجبال فقد استقر في اعماقه قول الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧٨). فالإيمان بالقدر من أعظم الأدوية التي تعين المؤمن على الشدائد والمصائب والبلايا، فهذه ثمرة من أعظم ثمرات الإيمان بالقدر(٧٩).

- سكون القلب وطمأنينة النفس، وراحة البال: فهذه الأمور من ثمرات الإيمان بالقدر، وهي مطلبٌ مُلِحٌ، وهدف منشود، وغاية مُبْتَغاةٌ؛ فكل من في الأرض يبتغيها، ويبحث عنها، ويسعى لها سعيها. فلا يدرك هذه الأمور، ولا يجد حلاوتها، ولا يعلم ثمراتها إلا من آمن بالله وقضائه وقدره؛ فالمؤمن بالقدر ساكن القلب، مطمئن النفس، مرتاح البال، لا يفكر كثيراً في احتمال الشر، ثم إن وقع يتحمل ذلك بثبات وصبر؛ إن مرض لم يضاعف مرضه بوهمه، وإن نزل به مكروه، قابله بجأش رابط فخفف حدته؛ فمن الحكمة ألا يجمع الإنسان على نفسه بين الألم بتوقع الشر، والألم بحصول الشر، بل يسعد ما دامت أسباب الحزن بعيدة عنه، فإذا حدثت قابلها بشجاعة واعتدال(٨٠).

وهكذا نرى أنَّ للإيمان بالقضاء والقدر، كما جاء في القرآن والسنة ، وكما فهمه سلف الأمة، ثمار مباركة وآثار طيبة، في عقلية المسلم ونفسيته، في وجدانه وأرادته، وعلاقته بنفسه وبربه، وبمن حوله، وما حوله، وفي الحياة الإسلامية بصفة عامة، يشهد بها كل ذي لب، ويلمسها كل ذي بصر، لما لها من تأثير إيجابي في السلوك الخاص والعام وفي السلم والحرب، وفي اليسر والعسر والرخاء والشدة، والنعماء والبأساء.

المطلب الثالث: النماذج النبوية والعملية للتعامل مع القدر

لقد حفلت سيرة النبي (ﷺ) والصحابة، والسلف الصالح، نماذج ربانية عظيمة في التعامل مع القضاء والقدر، وكيف اثَّرت هذه المسألة في مسيرة حياة المسلمين، نحو النهوض بالواقع الحياتي، والحضاري،

(٧٧) ينظر: الإيمان بالقضاء والقدر، محمد ابراهيم الحمد، ٣٧.
(٧٨) سورة الحديد، الآية ٢٢.
(٧٩) الإيمان بالقدر، الصلابي، ٣٦٦.
(٨٠) ينظر: الإيمان بالقضاء والقدر، محمد ابراهيم الحمد، ٣٩.

والتنموي، من خلال تسليم الأمر لله تعالى في كل جوانب الحياة، مع الأخذ بالأسباب والتوكل على الله تعالى.

أولاً: تعامل النبي (ﷺ) مع القدر:

- في مسألة الموت، كيف تعامل (ﷺ) مع هذه القضية، ووجه المسلمين بالتسليم لقضاء الله وقدره:

عن أسامة بن زيد، قال: كنا عند النبي (ﷺ)، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه، وتخبره أن صبيا لها، أو ابنا لها في الموت، فقال للرسول: "ارجع إليها، فأخبرها: أن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب" (٨١).

ففي قوله (ﷺ): إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى: معناه الحث على الصبر والتسليم لقضاء الله تعالى وتقديره، أن هذا الذي أخذ منكم كان له لا لكم، فلم يأخذ إلا ما هو له، فينبغي أن لا تجزعوا، كما لا يجزع من استردت منه وديعة، أو عارية. وقوله (ﷺ) وله ما أعطى معناه: أن ما وهبه لكم ليس خارجا عن ملكه، بل هو سبحانه وتعالى يفعل فيه ما يشاء. وقوله (ﷺ) وكل شيء عنده بأجل مسمى: معناه اصبروا، ولا تجزعوا، فإنَّ كل من يأت قد انقضى أجله المسمى، فمحال تقدمه أو تأخره عنه فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم(٨٢).

- في الهجرة النبوية:

إن من تأمل حادثة الهجرة ورأى دقة التخطيط فيها، ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها، ومن مقدماتها إلى ما جرى بعدها، يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله (ﷺ) كان قائمًا، وأن التخطيط جزء من السنّة النبوية وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم وأن الذين يميلون إلى العفوية، بحجة أن التخطيط وإحكام الأمور ليسا من السنّة أمثال هؤلاء مخطئون ويجنون على أنفسهم وعلى المسلمين(٨٣). وهكذا تعامل (ﷺ) مع الأحداث في الهجرة مع علمه أنَّ كل شيءٍ بقضاء الله وقدره.

- في غزوة أُحد:

على الرغم من الهزيمة التي لحقت بالمسلمين ، إلا أن النبي (ﷺ) لم يجزع أو يتسخط، بل صبر، ورجع إلى الله، واستمر في دعوته، وارشاد الناس الى الإسلام؛ لأنَّه يعلم أنّ ما أصابه هو بقضاء الله وقدره، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٨٤). جاء في تفسير

(٨١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ٢/ ٦٣٥، رقم ٩٢٣.
(٨٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.
(٨٣) ينظر: السيرة النبوية، الصلابي، ٢٧٩.
(٨٤) سورة آل عمران، الآية ١٦٦.

هذه الآية: أي: فراركم بين يدي عدوكم، وقتلهم لجماعة منكم، وجراحتهم لآخرين، كان بقضاء الله وقدره، وله الحكمة في ذلك[٨٥].

وهكذا نرى أنَّ تعامل النبي (ﷺ) مع القدر كان نموذجاً متكاملاً للإيمان والتسليم بقضاء الله وقدره، مع الأخذ بالأسباب والسعي في الأرض. فقد كان يؤمن بأن كل ما يصيبه هو بقضاء الله وقدره، وأنه لا يصيب العبد إلا ما كتب الله له، وفي نفس الوقت كان يجتهد في الأخذ بالأسباب واتخاذ التدابير اللازمة.

ثانياً: تعامل الصحابة رضي الله عنهم مع القدر:

كان أمر العقائد في عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم على ما كان عليه في عهد رسول الله (ﷺ) من سلامة العقيدة، والتسليم لله ورسوله في كل أمر، وعدم الجدال والخوض فيما خاض فيه من بعدهم، وبالنسبة لعقيدة القضاء والقدر، كان موقف الصحابة والتابعين التسليم والإيمان به على الوجه الحق، كما بينه لهم رسول الله (ﷺ). ومن أقوال الصحابة في القدر:

قال أبو بكر رضي الله عنه: خلق الله الخلق فكانوا في قبضته فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي فذهبت إلى يوم القيامة[٨٦].

الخاتمة

بعد انَّ مَنَّ الله تعالى اتمام هذا البحث، تبين أن الإيمان بالقضاء والقدر من اركان الإيمان التي ينبغي على كل مسلم أن يؤمن بها ايماناً جازما قاطعاً، وأنَّ الله تعالى قد قدر مقادير الخلق في الأزل، وهذا الإيمان يضفي على نفس المؤمن الراحة، والسكينة، والطمأنينة، وما على المسلم إلا ان يتماشى مع قدر الله تعالى وارادته.

وهذا الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب، بل على العكس من ذلك، فأن الأخذ بالأسباب من لوازم الشرع، إلا أنَّ المسلم لا يتكل على الأسباب. وقد تبين انَّ لهذا الايمان دور كبير في استقرار النفس البشرية على المستوى الفردي، والمجتمعي، والحضاري، بحيث يتعامل المسلم مع اقدار الله تعالى بكل اريحية وقبول، موكلا الأمر لصاحب الأمر. راضيا بما قسم الله تعالى له من خير أو شر.

التوصيات:

- الدعوة الى تضمين مفاهيم القضاء والقدر في المناهج التربوية.
- التأكيد على دور العلماء في تبسيط قضايا العقيدة لعامة الناس.
- اهمية ربط العقيدة بالمجال النفسي والاجتماعي.

---

[٨٥] ينظر: تفسير ابن كثير، ٢/ ١٥٩.

[٨٦] ينظر: الايمان بالقدر، الصلابي، ٤/ ٧٣٤.

المصادر

- القرآن الكريم.

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٢. الإيمان بالقدر، محمد علي الصلابي، دار المعرفة– بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٣٢هـ– ٢٠١١.

٣. الإيمان بالقدر، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة– القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.

٤. الإيمان بالقضاء والقدر ومذاهب الناس فيه، عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن– الرياض، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٥. الإيمان بالقضاء والقدر، محمد بن إبراهيم الحمد، دار الوطن– الرياض، الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ.

٦. الإيمان باليوم الآخر، وأثره على الفرد والمجتمع، رسالة: ماجستير في العقيدة بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان في السودان، مازن بن محمد بن عيسى إشراف: د صلاح إبراهيم عيسى، العام الجامعي: ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٧. الإيمان والحياة، يوسف بن عبد الله القرضاوي، مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة الرابعة: ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.

٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) تحقيق وضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

١٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

١٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (المتوفى ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر

الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١٣. حاشية الامام البيجوري على جوهرة التوحيد، المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تحقيق وتعليق: الدكتور علي جمعة محمد الشافعي، جامعة الازهر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الاولى: ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٤. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

١٦. السيرة النبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

١٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(المتوفى ٨٥٢هـ)، دار المعرفة – بيروت– ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز.

١٩. القضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الثالثة عشر، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.

٢٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٢١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٢٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٢٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى سنة ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٤. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٥. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢٦. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ.

٢٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية:١٣٩٢هـ.

٢٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.